

# قضايا الشعر المعاصر

كيف طرمتها نازك الملائكة والهلوك التي وضعتها

بقلم عبد اللطيف سرار

الفلسفة « الفكر »، وبالتالي ذا صفة عامة ينتظم جميع الأفراد، أي ان اعتبار الشعر - أي شعر - حركة، يفيد ان كل الناس شعراء. وانهم يهتمون اهتماما عمليا به، كما هي حالهم، في قضايا السياسة والاقتصاد والفكر والثقافة وفي ذلك تعميم لا يصح الامجازا، ومجازا مغالى به.

وهذه النزعة الى التعميم هي التي ساقته نازك الى البحث عن الجذور « الاجتماعية » للشعر الحر، مع ان الشعارية ذات جذور « نفسية » في الدرجة الاولى، أي انها مميزة، او صفة، او موهبة - سمها ماشئت - للأفراد لا للجماعات، ويختص بها أفراد دون الجماعات.

صحيح ان الفرد ذو سياق اجتماعي، وبهذا يكون « تعبيرا » عن البيئة التي ينشأ فيها، والجماعة التي ينتمي اليها، ولكن الشاعر « فرد » قبل ان يكون عبارة جماعة، او مثال بيئة، وشاعريته هي معنى تفرد، وجوهر شخصيته المتميزة، فاذا كان لنا ان نبحث عن جذورها، وجب علينا الرجوع - أولا - الى دراسة نفسيته وخصائصه الذاتية، وطريقته الخاصة في تلقي احداث الحياة والرد عليها، ونحن لاندرس مجتمع الشاعر - اعني مؤرخي الادب ونقاد - الا لتبين الاحداث التي رد عليها، وادراك طريقته في فهمها، ومشاعره تجاهها. فهو لا يعدو ان يكون اسانا كغيره من الناس يتأثر بما حوله، وياخذ من البيئة ويعطيها الا ان كونه اسانا لا يعني ابدأ كونه « شاعرا ».

وقضايا الشعر المعاصر انما هي في الحقيقة « قضايا افراد » هم الشعراء، ولكل فرد منهم على التحديد ثقافته الخاصة، وتجاربه، ومزاجه، وذوقه، واتجاهه، فلا يمكن التعميم حتى في اصدار احكام على هذه الفئة الخاصة من الناس، باعتبارها « فئة » او جماعة، بل يجب التمييز في درس قضاياها بين شاعر وشاعر.

اذا تقرر لدينا ذلك - يصبح من السهل تتبع الجذور الحقيقية للشعر الحر، والتمييز بين ماهو مستورد، وغير مستورد، وما هو نابع من تراثنا، وما هو دخيل عليه. والرأي عندي ان الشعر الحر نشأ برمته عن تفاعل الثقافة الغربية، الاستيطانية خاصة، بالثقافة العربية في « ذات » الشاعر العربي المثقف على يد الغرب.

والدليل الدامغ على ذلك ان شعراء المهجر الاميركي كانوا اول من جدد الشعر العربي في مضموناته وأبنيتسه وأشكاله، وكلهم تأثروا بما اطلعوا عليه من شعر غربي، ونظريات نقدية غربية.

ثم نشأت في اعقاب التجديد المهجري « جماعة ابولو » في مصر التي قادها المرحوم الدكتور أبو شادي، وعناية هذا الأخير بالشعر الاجنبي واضحة لاحتاج الى برهان.

يمكن رد قضايا الشعر المعاصر الى قضيتين اساسيتين: ذوق المعاصرين، وطرائق فهمهم للجمال، وهاتان ترداننا بدورهما الى ابحاث ودراسات تاريخية، واجتماعية. وفلسفية، وادبية لا حصر لها ولا نهاية. ولكن نازك الملائكة لم تأخذ بهذا الاجمال، او هي لم تفكر فيه، بتعبير اصح، وغاصت منذ البداية في التفاصيل. وأوغلت في تلك المباحث والدراسات التي ساقتها اليها طبيعة الموضوع. فجاء كتابها عنه في ثلاثمائة صفحة من القطع الكبير. غير انها اتقنت تويب الكتاب وترتيب فصوله وتجزئته مباحته، اذ جعلته أقساما، وأبوابا، وفصولا، وعرضت لشتى الموضوعات، على تداخلها وتشابكها وتنوعها، بهذا الاسلوب الذكي الذي يتقنه النساء عادة، في تركيز الامور وايجاد جو من التناسب والانسجام بينها.

- 1 -

تحدثت نازك، اول ماتحدثت عن الشعر الحر باعتباره حركة، وقصت علينا بدايته وظروفه، والمزايا المضللة فيه، وختمت بحثها هذا باعطاء رأي في امكانياته ومستقبله.

وانتقلت بعد ذلك، الى بيان الجذور « الاجتماعية » لحركة الشعر الحر، وتفسير نشوئها، واذا بها تقف عند اربعة عوامل اجتماعية « تتعلق بالاتجاهات الاجتماعية العامة للفرد العربي المعاصر، وترتكز الى تفاصيل الشعر القديم، وخصائص الشعر الحر نفسه » وهي: ١ - النزوع الى الواقع ٢ - الحنين الى الاستقلال ٣ - النفور من النموذج ٤ - ايثار المضمون، وتبدو لها هذه العوامل الاربعة « رئيسية »، بيد انها تعود فتقرر امكان النظر الى الشعر الحر - باعتباره حركة - من زوايا اخرى، وهي: « ضيق الشباب بهالة التقديس التي يحيط بها النقاد العرب ادبنا القديم » او « قد يكون جيلنا متبرما بمضمونات الشعر القديم ».

وجملة ما يؤخذ على موقف نازك الفكري في هذا الباب كله من كتابها - الباب الاول - انها تنزع الى « تعميم » حالات محض فردية، محض شخصية، وتبني على اساس من هذا التعميم الاصطناعي مقرراتها.

انها تدعو « الشعر الحر » مثلا « حركة »، والحركة عادة انما تكون لجماعة او جماعات، في بلد او بلاد، وتأخذ جذورها من حياة الجماعات والبلاد، والشعر الحر لا يمكن ان يكون في حد ذاته حركة مستقلة، قائمة بذاتها، وانما هو مظهر من مظاهر الحياة الادبية المعاصرة في دنيا العرب، لا اكثر ولا اقل. واعتباره « حركة » لا يصح في أي ميزان او مقياس الا من قبيل « الاستعارة البيانية » او التشبيه، واذاً ذلك يصبح الشعر شيئا كالسياسة او الاقتصاد او

فمن الشائع مثلا في كتب الاقدمين عن أبي العتاهية انه « خرج في بعض اشعاره عن العروض » وذكروا مثلا على ذلك قوله :

هم القاضي بيت يطرب قال القاضي لما عوتب  
ما في الدنيا الا مذنب هذا عذر القاضي، واقرب  
« وزنه فعَلَّ » اربع مرات . وقد قال قوم . ان العرب  
لم تقل على وزن هذا شعرا ، ولا ذكره الخليل ، ولا غيره  
من العروضيين « ( المسعودي في « مروج الذهب » ) .  
وجاء اهل الاندلس بعد أبي العتاهية بموشحاتهم  
التي ظلت عروضية في تفعيلاتها ، ولكنها قلبت الاوزان  
ودمجتها ومازجت بين البحور ، ثم نشأ « الزجل » الذي  
روى تاريخه بشيء من التفصيل امين نخله في مقدمة  
مجموعة والده « معنئ رشيد بخه » والشعر العامي العراقي  
له موسيقى زجلية خاصة .

كنت أتمنى ان تتبع نازك تاريخ هذه التطورات التي  
طرات على العروض العربي ، لترى ان لهذه التغييرات  
العروضية أسسا قديمة - وان كان الشعب غير واع منها -  
وتحاول ان تربط بين الماضي والحاضر من جهة ، ثم بين  
الذوق الموسيقي القديم والحديث ، وحاجات الغناء ،  
فالعروض في جوهره تقنية موسيقية ، وحاجة غنائية ،  
تختلف باختلاف الاذواق والافهام والبيئات .

- ٣ -

وإذا كانت نازك تلح على وجوب الاهتمام بالعروض  
والتقيد بمغيباته الموسيقية والتقنية الشعرية ، فلأن الامر  
في ذهنها واضح كل الوضوح ، لانتشوبه شائبة من ضباب  
التكلف والتعقيد : الشعر عندها شعر ، أي ذو موسيقى

ثم قامت في لبنان على يد الياس ابي شبكة وسعيد  
عقل شبه مدرسة نقدية للشعر تأثرت تأثرا واضحا بنظريات  
بول فاليري الشعرية والاستطاقية ، ان سلبا وايجابا .  
واخيرا ارتفعت في العراق اصوات تنادي بالشعر  
الحر ، وتقدم لنا النماذج عليه ، وهذه الاصوات كلها ،  
لا نستثن احدا منها ابدا . متأثرة بالشعر الانكليزي الحديث  
والنظريات الجديدة فيه التي يحتل منها ت.س. اليوت  
ارفع مكان ، وهذه الاصوات العراقية ، هي الملحوظة ، على  
نحو خاص ، في كتاب نازك .

وما من شاعر عربي حديث او معاصر حاول تجديد  
الشعر العربي ، او خاض في موضوع الشعر الحر الا وهو  
يتقن لغة اجنبية او اكثر ، فهو يصدر فيما ينظم ، او ينقد  
عن « ثقافة مزدوجة » .

لا اقول : « انه يقلد » وانما اقول : ان الشعر الحر  
محصلة ثقافة عربية - غربية ، في ذات الشاعر العربي  
الحديث ، وهذه الثقافة المزدوجة هي كل جذوره ، والدكتور  
خليل حاوي ، ونازك الملائكة نفسها ، شاهدان على ذلك ،  
فيما اعطيا من شعر .

بقي ان هذه الثقافة المزدوجة لدى الشعراء المعاصرين ،  
تعطي شعرا يتراوح بين ثلاثة اتجاهات :

١ - اما ان يطفى الجانب الغربي فيه على الجانب  
العربي « مجلة شعر ، وغيرها ... »

٢ - واما ان يطفى الجانب العربي على الجانب الغربي  
« سعيد عقل ، بدر شاكر السياب ، الخ ... »

٣ - واما ان يختط طريقا وسطا لا يطفى فيه جانب  
على جانب « خليل حاوي . نازك الملائكة ، الخ ... »

بيد ان هناك ظلالا وافاريق حتى لدى الشاعر الواحد  
في كل من هذه الطبقات - هكذا كان يعبر نقاد العرب  
الاقدمون ! - يمكن استقصاؤها ، عند درس كل طبقة على  
حدة ، وكل شاعر على حدة . . .

والعوامل « الرئيسية » التي تحدثت عنها نازك من  
نزوع الى الواقع ، وحنين الى الاستقلال ، ونفور من  
النموذج ، وايثار للمضمون ، لا يمكن ان تنطبق - لا جملة  
ولا تفصيلا - على جميع الشعراء المعاصرين . . .

- ٢ -

وتحدث نازك في الباب الثاني عن « العروض » في  
الشعر العربي ، فتقرر ملححة « ان الشعر الحر ظاهرة  
عروضية قبل كل شيء » وتمضي في تقريراتها ، حاملة  
على النقاد والشعراء الذين « هدموا الناحية العروضية من  
الشعر الحر » وتضع اكثر اللوم على النقاد الذين هملوا  
هذه الناحية في كل ما كتبوا ، اهمالا لا يصح السكوت عليه ،  
مشيرة الى ان المحدثين منهم « اصبحوا ينطوون على  
الاستحياء من علم العروض ويؤثرون اقضاءه عن قيم النقد  
وأصوله » وتنتهي الى دعوة جديدة بكل تقدير وتلبية ، هي  
« العودة الى علم العروض ، ونقض الغبار عنه » .

وتخطو نازك في دعوتها هذه من النظر الى العمل ،  
وتضع عروضاً للشعر الحر ، قائما على العروض القديم ،  
ويبدو بجلاء لمن يتتبع فصول هذا الباب ، انها بذلت جهودا  
قيمة ومفيدة في حقل يعتبر جديدا ، لكثرة ما أصابه من  
اهمال .

العروض هو الجانب الموسيقي من الشعر ، أي الذي  
يجعل الشعر شيئا غير النثر ، وقد طرات عليه تطورات  
كثيرة ، منذ وضع قواعد الخليل بن احمد الى يومنا هذا ،

في المكتبات

# مع الامام علي

## من خلال « نهج البلاغة »

دراسة مستفيضة عن عبقرية الامام علي  
كسياسي وحكيم من خلال خطبه ورسائله التي  
تتضمنها كتابه الخالد « نهج البلاغة »

تأليف

خليل الهنداوي

منشورات

دار الاداب

الثن ٢٥٠ ق.ل

ونخلص من ذلك الى بيان المصدر الذي ينقل عنه هؤلاء « الناقاؤون » ، فيودوير هو المرجع الفرنسي ، وادغار بو هو المرجع لدى عارفي الانكليزية من القائلين بقصائد النشر في الديار العربية .

على ان الامر في اذهان الغربيين . كما يتضح من مجمل ماقرره النقاد عندهم ، لا يبدو ان يكون ضربا من « المجاز » او « الاستعارة » فهم . وقد اعجبوا ببعض المقطعات الشعرية ، وراقهم ماتم عنه من خيال وعاطفة وحلاوة بيان ، وصفوها بانها « قصائد » ، لا اكثر ولا اقل . ولكن المتحذلقين في ديار العربية اخذوا المجاز مأخذ الحقيقة المادية ، وراحوا يقدمون لنا النشر على انه شعر .

انها تتساءل : « ... اترأهم يحدثون بدعة لا مسوغ لها ؟ » . واني لالمح السخرية وراء تساؤل نازك ، فهسي تعرف انهم لا يحدثون « بدعة » وانما يترجمون مجازا او استعارة لم يفهموها . . . . . وتلك هي حكاية الشعر المنشور من اولها الى اخرها . .

— ٤ —

وتتحدث نازك في القسم الثاني من كتابها عن الشعر كفن ، كتقنية ، فترد القصيدة الى عناصر اربعة : ا- الموضوع ٢ - الهيكل ٣ - التفاصيل ٤ - الوزن . وهي تعنسي بـ « هيكل القصيدة » الاسلوب الذي يختاره الشاعر لعرض الموضوع . اما الوزن فتقصد منه الى الشكل الموسيقي الذي يختاره الشاعر لعرض الهيكل .

وتقرر نازك ان بين هذه العناصر ترابطا خفيا لا يمكن فصمه ، وان الموضوع من وجهة النظر الفنية اتفه عناصر القصيدة ، ثم تعود فتوضح ان الموضوع « يصبح هاما ، ويستحق الالتفات في اللحظة التي يقرر فيها ان يختاره لقصيدته » .

ثم تبين - دون ان يخالها ريب - ان « الهيكل هو اهم عناصر القصيدة واكثرها تأثيرا فيها » والهيكل الجيد يتصف بالتماسك ، والصلابة ، والكفاءة والتعادل . وهناك ثلاثة اصناف من الهياكل : المسطح الذي يخلو من الحركة والزمن ، والهرمي الذي يستند الى الحركة والزمن ، والذهني الذي يشتمل على حركة لاتقترب بزمن . ثم تفسر نازك هذه التعبيرات والاصناف بأبحاث ونماذج وأمثلة .

لا ادري كيف توفق نازك بين اعتقادها بترابط عناصر القصيدة على نحو « لا يمكن فصمه » ، من جهة ، والتفاوت في الاهمية بين عنصر وآخر ، من جهة ثانية ، اذ هي تعتبر الموضوع اقل قيمة من الهيكل ، ثم لاتلبث ان تراه ذا اهمية في لحظة اختياره !

ذلك بان الترابط العضوي بين اجزاء كل - والقصيدة كل - يمنع التفاوت في الاهمية بين عضو وعضو ، ويفرض المساواة بحكم الوحدة التي تنفي التعدد ، وهذا المنطق ، منطق الترابط ، هو الذي حمل نازك على الغاء صفة « التفاهة » عن الموضوع ، حين نظرت الى القصيدة كوحدة وبدا انها تناقض تقريراتها الاولى في شأنه .

على اني لا اجد لهذه التقنية النظرية اثرا ذا بال في نظم القصيدة ، بمعنى ان الشاعر عندما يأخذ في نظم قصيدته ، لا يمكن ان ينصرف ذهنه الى هيكلها ، وتفصيلها ويقارن بين الهيكل المسطح والهرمي مثلا ليختار اصلحهما لموضوعه . وانما هو ينظم على سجيته ، ويثبت ويمحو ما يطمئن اليه من كلمات . . . . .

والبحث الجديد كل الجدة عند نازك ، هو الفصل

والنثر نثر ، أي غير موزون ولا مقفى ، وان كان مشعبا بروح شعرية من الخيال والعاطفة ولذا ، عقدت فصلا خاصا بعنوانه « قصيدة النثر » . استهلته بهذه العبارة : « شاعت في الجو الادبي في لبنان بدعة غريبة في السنوات العشر الماضية ، فاصححت بعض المطابع تصدر كتبها تضم بين دفتها نثرا طبيعيا مثل أي نثر آخر ، غير انها تكتب على اغلفتها كلمة ( شعر ) . . . » وتمضي في ذكر الامثلة . وبيان الوقائع المعروفة في هذه الديار مما تصدره مجلة « شعر » والناسجون على متوالها .

وتبدو نازك « منصفة » اكثر مما يلزم ، حين تقرر ان « الاساس النفسي في هذه الدعوة ان هؤلاء الكتاب الافاضل . . يزدرون ما يمتلكون من موهبة ، ويتطاعسون الى ما لا يملكون . . » . هذا « الانصاف » لدى نازك ضرب من « لزوم مالا يلزم » . وذلك لان الحقيقة التي لا يرقى اليها ادنى ظل من شك . هي ان هؤلاء القوم ينقلون عن غيرهم ويفلدون الاجانب تقليدا أعمى ، ويظهرون انهم « مبتكرون » وهم يعرفون انهم يترجمون مايقوله غيرهم .

ولن امضي بعيدا في الاستشهاد ، فان بين يدي الان كتيبنا صغيرا مدرسيا في سلسلة « كلاسيكيات للجميع » Les classiques pour tous الصادرة عن مكتبة Hatier وكل الطلاب يعرفونها ، وعنوان الكتيب هكذا :

Baudelaire

Poèmes

eu

Prose

وقد وضع مقدمة لهذه « القصائد في نثر » هـ . بير ده بيتوزيه H. Beyre de Bétouzet جاء فيها ، وعنوانها « نثر بودوير » مايلي : « ان لدى بودوير دوما اذ يكتب ، نثرا او نظما ، هم نفسه في تحقيق الجمال . وباللغة نفسها المعصومة من الخطأ التي تقتصر بما فيها من جزالة ونقاء ، اكثر الناس تشددا ، على الاعجاب » . ويجد بيتوزيه بعد ذلك اواصر قربي روحية وتقنية بين ادغار بو الاميركي ، وبودوير من هذه الوجهة ، لاسيما ان بودوير كان قد نقل بعض قصائد ادغار بو الى الفرنسية .

صدر حديثا

## الرهجورية وهيكلة السعوب

تأليف سيمون دو بوفوار

ترجمة جورج طرايشي

دراسات عميقة عن الوجودية وعلاقتها

بالمجتمع والشعب واثرها في الحياة عموما

الثلث ١٧٥ قرشا لبنانيا

دار الاداب

لدى الشاعر الواحد بين تجربة وتجربة ، وحالة وحالة ،  
وبيئة يعايشها وبيئة ، فلا سبيل والحالة هذه الى التعميم  
واطلاق القول . هناك « شاعر » وهناك « مجتمع » والعلاقة  
بينهما تأخذ لونها وقوتها او ضعفها من التفاعل بين شاعر  
معين ، ومجتمع معين . . .

اما الدعوة الى اجتماعية الشعر ، فانها جزء من  
الدعوة الى اجتماعية الفن جملة ، واجتماعية الادب ،  
 واجتماعية سائر ما يتصل بالحياة العقلية . وهي بسبب  
من ذلك ، مصطنعة ، متكلفة ، لا تحتاج حتى الى الرد عليها ،  
فالشاعر ، كالفنان ، كالفيلسوف ، « يعبر » - شاء أم أبى -  
عن واقع اجتماعي معين ، ويتطلع ، شاء أيضا أم أبى ، الى  
واقع غيره .

وتختم نازك كتابها بالحديث عن « نقد الشعر » مشيرة  
الى مزالق النقد المعاصر ، والتبعة اللغوية الملقاة على الناقد  
العربي ، وكل ماتقوله في هذين البابين موضع جدل لا يظهر  
اخره حتى يعود اوله ، اذ تحاول نازك ان ترسم الخطوط  
الكبرى لكل ناقد ، وتضع بيده منهجا خاصا تراه هو الصالح ،  
انها ترفض مثلا نقد المضمون ، وتحصر مهمة الناقد في  
الناحية الجمالية والتعبيرية كأن هذه الناحية يمكن ان  
تنفصل عن المضمون .

على ان من واجبي ان اوضح اخيرا ، ان محاولة  
نازك هذه من ارقى واغنى وأزكى المحاولات النقدية التي  
ظهرت في موضوع الشعر العربي ، منذ فجر النهضة الادبية  
الى اليوم ، هذا ان لم تكن اغناها وأزكاها على الاطلاق . . .

عبد اللطيف شراره

الذي تدرس به « أساليب التكرار في الشعر العربي »  
والفصل الذي يليه عن « دلالة التكرار في الشعر » .  
فقد وقفت هنا الى اكتشاف حقائق طريفة يمكن  
ان يفيد منها كل شاعر . وهذا الاجمال يعنيني عن كل  
تفصيل ، أي انني ادعو كل شاعر عربي ، بتعبير آخر ،  
الى الوقوف طويلا عند هذين الفصلين ، والافادة من كل  
ماورد فيهما .

غير اني كنت أتمنى على نازك ان تبين « التكرار  
القديم » الذي « ورد في الشعر العربي بين الحين والحين »  
لا ان تشير اليه اشارة عابرة .

ان القصيدة الجاهلية الشهيرة : « قريبا مرتبط النعامه  
مني » التي ورد فيها هذا الشطر مكررا اكثر من عشرين  
مرة ، في موقف حماسي رائع ، تكشف بما لا يدع مجالا  
للريب ان الجاهليين اهتموا الى حقائق في تقنية الشعر  
- بصورة عفوية وغير واعية - هي هذه التي كشفتها نازك  
بعد نحو من ستة عشر قرنا .

- ٥ -

وتتحدث نازك عن « الشعر والمجتمع » ثم عن « الشعر  
والموت » في باب الصلة بين الشعر والحياة .

وحقيقة الموقف ان الصلة بين الشعر والحياة غيرها  
بينه وبين المجتمع ، وهذه غيرها بين الشعر والموت ، فمن  
الغريب ان نازك لم تلتفت الى هذا المعنى .

المجتمع في ذهن الشاعر معنى مجرد ، فاذا تشخص  
او انتقل الى حيز الواقع ، اختلف بين شاعر وشاعر، وحتى

دار الاداب تقدم

# دُرُوبُ الحَرِّيَّةِ

رائعة الكاتب الوجودي الكبير

جان بول سارتر

سن الرشيد

وقف التنفيذ

الحزن العميق

نقلها عن الفرنسية نقلا امينا دقيقا

الدكتور سهيل ادريس

\* نموذج الادب الوجودي في مفهومه الصحيح العميق

\* تحفة ادبية يجب ان لا تخلو منها مكتبة

سن الرشيد : ٥٥. ق.ل

وقف التنفيذ : ٦٥. ق.ل

الحزن العميق : ٥٥. ق.ل